قسم
التاريخ

العلاء بن مغيث الجذامي الثائر علي دولة بني أمية في الأندلس
هل هو يمني من جند مصر؟

الدكتور

السيد عبد العزيز سالم

* أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية

فى سنه ١٤٦ هـ (٧٦٣ م) أعلن العلاء بن مغيث الجذامى[1] الثورة على الدولة الأموية فى باجة ، ودعا إلى طاعة الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، ورفع اللواء الأسود . وتبعه خلق كثير من اليمانية الذين انقلبوا على الأمير الأموى عبد الرحمن بن معاوية ، مؤسس دولة بنى أمية فى الأندلس . ويبدو أن العلاء اختار الوقت المناسب للقضاء على دولة عبد الرحمن الأموى الفتية ، فقد كانت الثورات القهرية تجتاح الأندلس منذ أن بويع عبد الرحمن بالإمارة فى قرطبة ففى طليطلة ثار عليه هشام بن عروة القهرى وناوأه ، وأنضم إليه عدد كبير من العرب ، وذلك بعد أن تخلص عبد الرحمن من خصميه يوسف القهرى والصميل . فلما علم عبد الرحمن بثورة العلاء وانضمام الثوار إليه ، خرج من قرطبة متجهاً إلى الغرب لمواجهته ، وعند قرمونة أقبلت إليه حشود هائلة من الثوار بقيادة العلاء ، فتحصن عبدالرحمن داخل أسوارها ، مع مواليه وثقات رجاله ، وأحكم العلاء عليه الحصار ما يقرب من شهرين حتى ساءت حالته ، ونفدت مؤونته ، وفى نفس الوقت اخذل عن العلاء أكثر أنصاره لطول أمد الحصار ، فاختلت محلته ، وبلغ عبد الرحمن ذلك ، فوجدها فرصة مواتية للانقضاض عليه بقواته ، وكانوا نحو سبعمائة ، وأمر بتار فأوقدت عند باب إشبيلية من أبواب تلك المدينة ، ثم أمر بأغماد سيوف رجاله فطرحت فى النار ، وقال لأصحابه : « اخرجوا معى خروج من لا يحدث نفسه

(١) ينسبه جمهور من المؤرخين العرب إلى جذام من كهلان ، ومنهم ابن القوطية (تاريخ افتتاح الأندلس ، نشره دوزى ليدن ، مدريد ، ١٩٢٦ ص ٣٢) وابن عذارى المراكشى (البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، نشره ليفى بروفنسال وكولان ، ج ٢ ، ليدن ١٩٤٨ ص ٥١) وابن الخطيب ، (كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ، ص ٨) ، فى حين ينسبه آخرون إلى يحصب من حمير ، ومنهم ابن خلدون ، (كتاب العبر ، ج ٤ ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦٦) والحميرى فى (الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق د . إحسان عباس ، ص ٧٥) والمقرى فى (نفح الطيب ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ، ج ١ ص ٣١١) . ونميل إلى ترجيح النسب الجذامى ، فقد كانت جذام من أقدم عرب اليمن هجرة إلى مصر ، فقدموا مع عمرو بن العاص ، وكانت جذام علوية الهوى (عبد الله خورشيد البرى ، القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، القاهرة ١٩٦٧ ص ١٦٠) اشتركوا فى الثورة على عثمان بن عفان ، وقاوموا الأمويين فى نهاية دولتهم وأيدوا الدعوة العباسية ، وكانوا يشكلون كثرة عددية فى الفسطاط ، وكان منهم بالاسكندرية جماعة ذو عدد وعدة وشجاعة وإقدام (المقريزى ، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق د . عبد المجيد عابدين ، القاهرة ١٩٦١ ص ٢٧) ، فى حين أن يحصب وهى من حمير كانت قليلة العدد وقليلة الأهمية بمصر ، ولم يكن لها ذكر كبير فى حوادث مصر والمغرب .

بالرجوع »[2] ، فخرجوا إلى عدد لا يحصى ، فرزقهم الله النصر[3] ، وأيد جيش العلاء ومزقت جشوده ، وبلغ عدد القتلى من رجاله نحو سبعة آلاف [4] ، وقيل ستة آلاف[5] ، وقتل العلاء فيمن قتل وطيف برأسه ، وأمر عبد الرحمن ، مبالغة منه في السخرية من أبي جعفر المنصور أن يبعث برأس العلاء إليه ، فأمر بحز رأسه ، وحشاه ملحاً وصبراً ، ولفه في لواء أبي جعفر ، ووضع الرأس في سفط وبعث به مع رجل من أهل قرطبة في جملة الحجاج ، وأمره عبد الرحمن بأن يضع السفط أمام سرادق المنصور في مكة ، إذ كان يحج في ذلك العام ، ففعل القرطبي ما أمره به عبد الرحمن ، فلما نظر إليه المنصور ارتاع وقال : « إنا لله ، عرضنا بهذا المسكين للقتل ، الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان »[6] .

هذا عرض موجز لثورة العلاء بن مغيث الجذامي كما وردت في المصادر العربية ، والسؤال المطروح على بساط البحث : من هو العلاء بن مغيث الجذامي أو اليحصبي صاحب الثورة على عبد الرحمن بن معاوية الأموي ؟ ولماذا وقع اختيار أبي جعفر المنصور عليه ليقود الثورة ويفجرها في باجة ويبعث إليه بسجل الولاية واللواء ؟

وللاجابة على هذين السؤالين لابد من الرجوع إلى الروايات الواردة في المصادر العربية ومقابلتها فيما بينها بهدف التوصل إلى بصيص من الضوء يعيننا على الاجابة عليهما .

١ ـ ينفرد المؤلف مجهول الاسم صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس بقوله « في سنة ١٤٤ هـ أقبل العلاء بن مغيث الجذامي من إفريقية فدخل الأندلس ، ودعا بها لبني العباس ، وملك باجة وقرمونة . وفي سنة ١٤٦ هـ ملك العلاء بن مغيث بلاد شرق الأندلس ولبس السواد

---

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٥١ .
(٣) ابن الخطيب ، كتاب أعمال الأعلام ، ص ٨ .
(٤) المقري ، نفح الطيب ، ج ١ ص ٣١١ وانظر المؤلف مجهول الاسم صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس ، ص ١١٥ .
(٥) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٢ .
(٦) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٣٤ ـ ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ص ٥٢ .

وخطب للمنصور ، فأجابه خلق كثير ، منهم الجانية بأسرها فسار إلى إشبيلية ، فقتل هو وسبعة آلاف من أتباعه »[٧]

ويستنتج من هذا النص : أن العلاء بن مغيث كان من جند العباسيين بإفريقية وأنه دخل الأندلس قادماً من إفريقية في سنة ١٤٤ هـ فملك باجة وقرمونة من بلاد غرب الأندلس . والمعروف أن باجة من الكور المجندة ، نزلها جند مصر ، وكان عبد الرحمن بن معاوية قد أسقط جندهم وأهمل ذكرهم[٨] . وربما كان ذلك من الأسباب التي حملت أهل باجة على السخط على عبد الرحمن الأموي والانضمام إلى العلاء الذي كان على حدقول ياقوت « على رأس جند باجة »[٩] .

٢ ـــ يذكر ابن عذارى أن العلاء بن مغيث الجذامي ثار سنة ١٤٦ هـ بباجة ، « ودعا إلى طاعة أبي جعفر المنصور ، ونشر الأعلام السود ، فاتبعه الأجناد ، وتطلّعه العباد ، إلى أن كادت دولة الأمير أن تنصرم ، وخلافته أن تنخرم ، فخرج إليه من قرطبة ، وصار بقرمونة ، فتحصن بها مع مواليه »[١٠] .

٣ ـــ يذكر ابن عذارى في موضع آخر نقلا عن السالمي في أدرر القلائد . أن أبا جعفر المنصور « كان أرسل إلى العلاء بن مغيث بولاية الأندلس . فنشر الأعلام السود ، وقام بالدعوة العباسية بالأندلس ، فانحشر إليه الناس »[١١] .

٤ ـــ وفي موضع آخر يحدد ابن عذارى ، نقلا عن صاحب كتاب بهجة النفس ، الموضع الذي بدأ فيه العلاء بإعلان الثورة على الأمير الأموي ، فيقول : « وكانت ثورة العلاء بموضع يقال له القنت من عمل

---

(٧) عنان . دكر بلاد الأندلس ، نشر وتحقيق لويس مولينا ، مدريد ١٩٨٣ ، ص ١١٥ .
(٨) ياقوت . معجم البلدان ، مادة باجة .
(٩) نفس المصدر .
(١٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٥١ .
(١١) ابن عذارى ، نفس المصدر ، ص ٥٢ .

باجة[١٢] ، فأظهر سجل المنصور ولواءه ، وجمع إلى نفسه من أجابه ، ونهض إلى باجة فأخذها ، وتغلب منها على جميع العرب ، وخرج يريد الأمير عبد الرحمن »[١٣] .

٥ ــ يذكر المقرى نقلاً عن ابن خلدون أن العلاء بن مغيث « سار سنة ١٤٦ هـ من افريقية إلى الأندلس ، ونزل باجة الأندلس داعياً لأبي جعفر المنصور ، واجتمع إليه خلق ، فسار عبد الرحمن ، ولقيه بنواحي إشبيلية . فقاتله أياماً ، ثم انهزم العلاء »[١٤] .

٦ ــ يذكر المقرى في موضع آخر أن العلاء ثار بباجة ، « وكان قد وصل من إفريقية على أن يظهر الرايات السود بالأندلس ، فدخل في ناس قليلين ، فأرسى بناحية باجة ، أودعا ومن أهلها خولهم ، فاستجاب له خلق كثير »[١٥] .

ونخرج من الروايات السابقة بالحقائق الآتية :

١ ــ أن العلاء بن مغيث الجذامي كان من رؤوس العرب اليمانية بباجة ، بحيث وقع عليه اختيار أبي جعفر المنصور دون غيره من زعماء اليمانية للمهمة الصعبة التي أسندت إليه ، وهي رفع اللواء الأسود ، وولاية الأندلس من قبله . فابن القوطية يؤكد أنه « كان من سكان باجة في الغرب ، وكانت له فيها رئاسة »[١٦] .

٢ ــ نستنتج من رواية الجغرافي مجهول الإسم صاحب كتاب « ذكر بلاد الأندلس » أن العلاء خرج من إفريقية في سنة ١٤٤ هـ ، ودخل باجة

---

(١٢) هو الحصن المعروف اليوم باسم Fuente de Cantos ، ويبعد قبلت أرنانديث مرتفعة على بعد ٦٠ ك . م . جنوبي إشبيلية في طريق إمارة ــ إشبيلية (Felix Hernandez, La Kura de Merida,) en el siglo x, al-Andalus, Vol. XXV, Fasc. 2, 1960, P. 361.

وانظر رسالة الدكتوراه التي تقدمت بها د . سحر السيد عبد العزيز سالم وعنوانها : مظاهر الحضارة في إيطاليوس الأسلامية (٢٦١ ــ ٦٢٧ هـ) . جامعة الأسكندرية ١٩٨٧ ج ٢ ص ٧٦٠ .

(١٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ٥٢

(١٤) المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ص ٣١١ .

(١٥) المقرى ، المرجع السابق ، ج ٤ ص ٣٥

(١٦) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٣٢

بالذات من مدن الأندلس فملكها[١٧] . ونتساءل عن السبب الذى دعاه إلى اختيار باجة منزلاً له ، وبالربط بين النص الذى أورده الجغرافى مجهول الاسم ، وبشير إلى خروج العلاء من إفريقية سنة ١٤٤ هـ وبين استيلاء الجيش العباسى بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعى على إفريقية فى نفس السنة[١٨] ، يمكننا أن نستنتج أن العلاء بن مغيث كان من بين أجناد الجيش المذكور ، وأنه شارك فى حملة ابن الأشعث الخزاعى اليمنى الأصل على إفريقية ، وأنه اضطر إلى الخروج إلى الأندلس فى نفس السنة إما لتنفيذ المهمة التى أسندت إليه أو لاستغلال الأوضاع السيئة فى الأندلس ضد عبد الرحمن الداخل لصالحه هو ، أو لمناهضة المضرية وكانوا يؤلفون معظم الجيش العباسى فى إفريقية لقائدهم اليمنى محمد بن الأشعث الخزاعى .

٣ ــ إذا ربطنا بين رواية ابن القوطية التى يذكر فيها أن العلاء بن مغيث « كان من سكان باجة فى الغرب وكانت له فيها رياسة »[١٩] ، وبين رواية المؤلف مجهول الإسم التى تشير إلى أنه ملك باجة وقرمونة فى سنة ١٤٤ هـ ، نستنتج أن العلاء اختار باجة ، مقر جند مصر ، منزلا لسبب ما ، ويشير هذا الاختيار إلى أنه كان يستهدف الاعتزاء بسكانها ، بحيث مكنوه من السيطرة عليها ، وهذا الحدث فى حد ذاته يدعونا إلى الاعتقاد بأنه كان من جند مصر الذين وفدوا إلى إفريقية فى حملة ابن الأشعث الخزاعى وأنه آثر أن ينزل بين قومه من جند مصر فى باجة ، فوجدهم ساخطين على الأمير الأموى الذى كان « قد أسقط جندهم ، وأخمل ذكرهم » كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

٤ ــ وربما تأثر العلاء بذلك ، فعزم على الاطاحة بعبد الرحمن ، فأقدم على الاستيلاء على باجة وما حولها ، وتزعم الثورة على الأمير الأموى ، ودعا لأبى جعفر المنصور ، الأمر الذى دعا المنصور إلى أن يبعث إليه بسجل

---

(١٧) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، ص ١١٥

(١٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٣ وما يليها

(١٩) ابن القوطية ، ص ٣٢

ولواء ويوصيه بقوله : « إن كان فيك محمل لمناهضة عبد الرحمن وإلا فأبعث إليك بمن يعينك »[٢٠] .

٥ ـــ وأعتقد أن العلاء رأى قبل أن يرفع اللواء الأسود أن يضم إليه أنصارا آخرين من قومه بشرق الأندلس ، وأغرى بهم جند مصر الذين أنزل أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي بعضهم في تدمير[٢١] التي سماها مصر[٢٢] ، وذلك استنادا إلى قول المؤلف مجهول الإسم أنه « ملك بلاد شرق الأندلس سنة ١٤٦ هـ ولبس السواد وخطب للمنصور ، فأجابه خلق كثير ، والبمانية بأسرها ، فسار إلى أشبيلية »[٢٣] . فلما وصل إلى قرمونة ألفى عبد الرحمن بن معاوية قد تحصن فيها ، فحاصره إلى أن وقع من الحوادث ما وقع ، وانتهى الأمر بمصرعه .

وإستنتاجاً من الحقائق السابقة تمضى الحوادث على النحو التالى :

١ ـــ أن العلاء بن مغيث كان من بين جند مصر الذين شاركوا في حملة محمد بن الأشعث الخزاعي[٢٤] على إفريقية سنة ١٤٤ هـ .

٢ ـــ أنه انفصل عن الحملة عندما بدأ المضرية في إفريقية ، وكانوا يشكلون السواد الأعظم من العرب يزعجون ابن الأشعث ويناوئونه ، وآثر أن يعبر البحر إلى باجة المركز الرئيسي لجند مصر في الأندلس ، وربما فعل ذلك تنفيذاً لاتفاق مسبق تم بينه وبين أبي جعفر المنصور أو من ينوب عنه في إفريقية وهو ابن الأشعث الخزاعي ، أو رغبة منه في الاعتزاء بقومه اليمنية الذين كانوا يتقمون على عبد الرحمن بن معاوية ويضمرون الكيد له ، تمهيداً للدعوة لنفسه ، والاطاحة بالدولة الأموية ، وإدخال الأندلس في

---

(٢٠) ابن القوطية ، ص ٣٢ .

(٢١) ابن عذارى ، ج ٢ ص ٣٣ ـــ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ١٦٢ .

(٢٢) المقرى ، ج ١ ص ٢٢١ .

(٢٣) مجهول ، ص ١١٥

(٢٤) من الملاحظ أن ابن الأشعث ينتسب إلى خزاعة التي ترفع بن كهلان ، وهي بعض الفروع التي تنتسب إليه حذام . وقد اشتركت خزاعة في فتح مصر ، ثم اشتركت أيضا مع حذام في الثورة على عثمان .

فلك الدولة العباسية . وأميل إلى استبعاد الافتراض الأول والأخذ بالثاني .

٣ ـــ لم يتردد العلاء عند وصوله إلى باجة في استثارة جند مصر من اليمانية فيها واستمالة عزائمهم وشحذ هممهم للثورة على الحكومة المركزية في قرطبة، واستغل انصراف الأمير عبد الرحمن بن معاوية في إخماد ثورة هشام بن عروة الفهري في طليطلة واستولى على باجة ونواحيها في غرب الأندلس .

٤ ـــ لما تم له ذلك انتقل إلى تدمير بشرق الأندلس حيث كانت تنزل طائفة كبيرة العدد من جند مصر من اليمنية الذين ينتسب إليهم . ولما تحقق له انضواؤهم إلى دعوته أقدم على رفع اللواء الأسود شعار العباسيين ، ودعا لأبي جعفر المنصور ، وزحف نحو قرطبة ، فأدرك عبد الرحمن بن معاوية قرب قرمونة، فبادر عبد الرحمن بالتحصن داخل سورها ، فحاصرته قوات العلاء زهاء شهرين ، ثم كان ما كان من هزيمة العلاء ومصرعه .

ومن خلال الربط بين الحوادث يمكننا توضيح طبيعة العلاقة بين العلاء وأهل باجة ، والمغزى من الثورة التي قام بها العلاء على عبد الرحمن بن معاوية في باجة ، وتفسير السبب الذي دعاه لاعلانها في تلك المدينة وما ترتب على ذلك من نتائج .

السيد عبد العزيز سالم